انتهاكات حقوق الإنسان فى الأندلس
بعد سقوط غرناطة من٨٩٧هـ-١٤٩٢م ــ ١٠١٩هـ/١٦١٠م

الباحث / أحمد صلاح حسن

ملخص الدراسة:

هفت هذه الدراسة إلى دراسة انتهاكات حقوق الإنسان بعد سقوط غرناطة من٨٩٧هـ ــ١٤٩٢م ــ ١٠١٩هـ/١٦١٠م ، وتأتى هذه الدراسة فى إطار البحث عن أوضاع المسلمين خلال هذه الفترة وما شهدته من انتهاكات شديدة لحقوق الإنسان فى الأندلس ، وكانت هذه الانتهاكات تمثل الحدث الأبشع فى تاريخ الأندلس ، فقد شهدت هذه المرحلة العديد من الانتهاكات من قبل النصاري الإسبان ، حيث نكس العلم الغرناطى ورفع العلم الأسبانى على أبراج الحمراء ، وبدأ فصل جديد من المعاناة وانتهاك حقوق الإنسان فى الأندلس ، وأصبح المسلمون فى غرناطة يطلق عليهم اسم الموريسكيين وتعنى صغار المسلمين وذلك للتقليل منهم والحط من شأنهم ، وتمثلت هذه الانتهاكات فى التنصير القصري ، والتهجير القسرى ، ومحاكم التفتيش .

Abstract:

This study aimed to study human rights violations after the fall of Granada from ٨٩٧ AH - ١٤٩٢ AD - ١٠١٩ AH / ١٦١٠ AD. This stage witnessed many violations by the Spanish Christians, as the Granadian flag was lowered and the Spanish flag was raised on the Alhambra towers, and a new chapter of suffering and violation of human rights began in Andalusia, and the Muslims in Granada became called the Moriscos, meaning small Muslims, in order to belittle them and degrade them. Their business, and these violations were manifested in forced Christianization, forced displacement, and the Inquisition courts.

المقدمة:

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

أهداف الدراسة :

ـ أظهار الصورة الوحشية والهمجية لما قام به نصاري الأندلس ، خلال فترة الدراسة ، وخاصاً فى ضوء عمليات القتل العمد ، وتخريب الممتلكات ، والحصارات الشديدة التى تخلو من الإنسانية .

ـ الوقوف على سياسة النصاري الغاشمة وإبراز جرائم القتل وانتهاك حق الأنسان فى الحياة .

ـ دراسة حالة المعاناة للشعب الأندلسى الذى ظل لفترة ثمانية قرون فى الأندلس إلى أن تمت إبادته نهائياً ، وتوضيح كمية الانتهاكات التى تعرض لها بمختلف أشكالها .

أسباب إختيار الموضوع :

ـ يعتبر هذا الموضوع من أهم الموضوعات التى يجب أن نسلط الضوء عليها ، حيث يعد من أهم القضايا المعاصرة التى يجب أن تنال البحث لكونها تؤثر على مصالح المجتمع الإسلامى فى الأندلس ، وتمس القيم الإنسانية وكرامة الإنسان .

ـ الرغبة الشديدة فى تقديم وتوضيح ما قام به النصاري وبعض حكام العرب فى حق أهل الأندلس من انتهاكات تقشعر لها الأبدان ، والإعتراف بالحق ومحاربة العنصرية والتميز بمختلف أشكاله .

ـــأولا:انتهاكات حقوق الإنسان بعد سقوط غرناطة:

بعد هذه الفترة العصيبة التى شهدتها الدولة الإسلامية فى الأندلس والتى كـــان لهـــا أثـــر كبير فى هدمها وانحلالها وضعفها ، مما أدى ذلك إلـــى طمـــع النـــصاري المتجبـــرين الطاغين لمواصله تحقيق هدفهم الأعظم وهو طرد المسلمين من الأندلس والتنكيل بهـــم ، وتم لهم ما أرادوا بعد أن قام الملك أبو عبد الله الصغير[١] بتسليم مدينة غرناطـــة آخـــر معاقل المسلمين فى الأندلس بتاريخ ٢١ محرم ٨٩٧هـــ ـــــــ ٢٥نـــوفمبر ١٤٩٢م ، وسرعان ما بدأ النصاري بالغدر بالمسلمين وإهانتهم والتنكيل بهم وتعذيبهم وقتلهم ونفيهم ، ووضعوا خطة كاملة للقضاء على المـــسلمين ، واســـتخدموا أبـــشع الطـــرق ضـــد المسلمين[٢].

أولاً : التنصير القسري وانتهاك حقوق الانسان :

بعد سقوط غرناطة تعرض المسلمين فى الأندلس للعديد من النتهاكات من قبـــل الأســـبان النصاري ، حيث نكس العلم الغرناطى ورفع العلم الأسبانى على أبراج الحمراء ، وبـــدأ فصل جديد من المعاناة وانتهاك حقوق الإنسان فى الأندلس ، وأصـــبح المـــسلمون فـــى غرناطة يطلق عليهم اسم الموريسكيينMORISCOS [٣]وتعنى صغار المسلمين وذلـــك للتقليل منهم والحط من شأنهم.[٤]

وبعد سبعة سنوات من سقوط غرناطة قـــام فرنانـــدو وزوجتـــه إزابـــيلا fernando e Isabel[٥] بإجبار المسلمين على إعتناق المسيحية قسراً ، وبأساليب عنيفة ، وهنا بـــدأت تظهر أهداف الكنيسة الكاثوليكية واضحة ،حيث بدأت فـــى انتهـــاك حقـــوق المـــسلمين والتعدى على مقدسات المسلمين ، وكان أول هذه الانتهاكات والتعديات هو تحويل معظم

---

١ أبو عبد الله الصغير: أو أبو عبد الله محمد الثانى عشر (٨٦٥هـ/١٤٦٠م ـــ٩٣٤هـ/١٥٢٧م) هو محمد بن على بن سعد بن على بن محمد بن يوسف ، تولى حكم مدينة غرناطة مـــرتين الأولى بين عامى ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ـــ٨٨٩هـ/١٤٨٣م ، ومرة آخر بين عامى ٩٠٢هـ/١٤٨٦م ـــ٨٩٧هـ/١٤٩١م ، وهو آخر الملوك المسلمين بالأنـــدلس ، وعـــرف عنـــد الإســـبان بالصغير ، وعند العرب أهل غرناطة بالزغابى أو التعيس ، وفى عصر تم تسليم غرناطة آخر معاقل المـــسلمين بالأنـــدل ألـــى النـــصاري عـــام٨٩٧هـــ ـــــــ ١٤٩١م،وتـــوفى عـــام ٩٤٠هـ/١٥٣٣م(شوقى أبو خليل :" مصرع غرناطة أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بنى الأحمر " ط٢، دار الفكر دمشق ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ، ص٩٧)

٢ جمال يحياوى :" سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين " دار هومه ،٢٠٠٤م، ص٣٧ـــ٣٩،أسعد حومد :" محنة العرب في الأندلس " ، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنـــشر ، ١٩٨٨م ، ص١٨٤، على محمد محمد الصلابى :" دولة الموحدين " دار البيارق ، عمان ، ١٩٨٨م ص٢٧٢

٣ الموريسكيين MORISCOS: هى كلمة إسبانية أطلقت عام ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م ، تعنى أنصاف الأندلسيين أو الأندلسيين الصغار ، وهذه الكلمة استخدمها الأوربيين فى شبه جزيرة أيبيريا ، وذلك للإشارة إلى المسلمين الذين تنصروا قسراً فى البرتغال وإسبانيا بعد سقوط الدولة الإسلامية فى الأندلس ، ومع الوقت أصبحت هذه الكلمة تستخدم بطريقة ازدرائية لتشير إلـــى الكاثوليـــك بالاسم فقط ،الذين يشبه بهم بأنهم يطبقون طقوس وتعاليم الدين الإسلامى سراً ، واسعملت رسمياً فى ملفات ديوان التحقيق عام٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م .(ماثيو كار :"الدين والدم إبادة شعب الأندلس " ،ط١، ترجمة : مصطفى قاسم ، مراجعة : أحمد خريس ، هيئة أبو ظبى للسياحة والثقافة ، كلمة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ، ص٤٣،عبد الله حمادى :" الموركسيون ومحاكم التفتيش فى الأندلس " ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ١٩٨٩م ، ص٥٠،جمال عبد الكريم :" الموريسكيون تاريخهم وأدبهم " ، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ، ص٦،خوليو كارو باروخا :" مسلمو مملكة غرناطة بعد عام ١٤٩٢م" ، ط ١، ترجمة : جمال عبد الرحمن ، إشراف :جابر عصفور ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣م ، ص١٥)

٤ جمال يحياوى :" سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين " ، ص٣٩

٥ إزابيلا : ولدت عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م في قشتالة ، وهى ابنة خوان الثانى ملك قشتالة ، تزوجت من أمير أرغون فرناندو عام ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م ، وعندما توفى أخوها إنريكى الرابع تولت الحكم خلفاً عنه عام ٨٧٨هـ/ ١٤٧٤م ، واتحدت مملكتة قشتالة وأرغون ، وأصبحت تعرف هي وزجها فرناندو بالملكين الكاثوليكيين أو ملكى قشتالة وأرغون .(جمال يحيـــاوى :" ســـقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين " ، ص٣٣)

المساجد إلى كنائس مثل مسجد الحمراء ومسجد الطيبين ، ثم تحويل مسجد مدينة غرناطة الأكبر إلى كتدرائية(١).

ثم بعد ذلك بدأت الكنيسة تنظم فرقاً تبشيرية مكونة من رهبان وراهبات ، وظنوا أن المسلمين سيعتنقون الدين النصرانى بسهولة ولكنهم وجدوا غير ذلك مع مروا السنين ، فبدأت الدولة الإسبانية والكنيسة تغير سياستها من اللين إلى العنف ، وفى عام ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م قام الملك فرناندو وزجته إيزابيلا باستدعاء رئيس أساقفة طليطلة فرانثيسكو خيمينث دى ثيسنيروس Francisco Jimenez de Cisneros (٢)لكى يتولى مهمة التنصير ، فأمر بجمع الفقهاء فى غرناطة والمدن الأخري ودعاهم بترك الدين الإسلامى واعتناق الدين النصرانى ، وهددهم بالوعيد والعقوبة لمن يرفض الدخول فى النصرانية ، هذا يعد انتهاكاً صريحاً لحرية الإنسان ، كما أنه قام بتحويل جامع البيازين Albaycinفى غرناطة إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة سان سلفادور san salvador ، كما أنه أطلق على المسلمين من أصول نصرانية اسم العلوج أى " الأجانب " فى اللغة العربية، كما أنه قرر أن يعامل كل من ارتد عند النصرانية معاملة المرتدين ، فاحتج المسلمون من أصول نصرانية على ذلك ، وبدأ خيمنيث بملاحقتهم والتعدى عليهم ، ورميهم فى السجون وتعذيبهم رجالاً وشيوخاً ونساءً وأطفالاً إن رفضوا التنصير، كما قتلوا منهم الكثير بأبشع طرق القتل حيث شدوا إلى خوازيق ، ويندفع نحوهم الجنود على ظهور خيولهم ويسلطون رماحهم عليهم(٣).

ولم يكتف خيمينث عند تنظيم هذه الفرقة الإرهابية التى قامت بالتنصير القسري للكثير من المسلمين ، بل قام بارتكاب عمل إجرامى شنيع حيث قام بإحراق مليون وخمسمائة ألف كتاب دينى وكتب آخري ، بما فيها من المخطوطات والوثائق التى تتعلق بالدين الإسلامى ، على مرأى من الناس ، وتم ذلك لكى يسهل على النصاري إبعاد المسلمين عن مصادر دينهم ، ويسهل التخلص منهم والقضاء عليهم(٤). وهكذا ذهبت آلاف الكتب

---

١ على بن محمد الكتانى :" انبعاث الإسلام فى الأندلس " ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م، ص٦١ ، عبد الحكيم الذنون :"أفاق غرناطة" ،ط١، دار المعارف / ١٩٨٨م، ص٧١

٢ فرانثيسكو خيمنيث دى ثيسنيروس Francisco Jimenez de Cisneros :ولد عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م ، ويعد من أبرز وأهم الشخصيات تأثيراً فى عصره وأصبح من أعظم رجال الكنيسة ، وفى بداية حياته تطرق إلى تعلم اللغة العربية ، وظل فترة طويلة يعيش عيشة متقشفة وذلك لكى يكون قدوة حسنة للرهان ، وفى عام ٩٠٥هـ/١٤٩٩م عينه البابا مسؤلاً عن كل الرهبان فى قشتالة ، كان قاسياً متصلباً ، وخاض الحروب ضد المسلمين ، وتوفى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م .(هنري تشارلس لى :" العرب والمسلمون فى الأندلس بعد سقوط غرناطة " ، ط١، ترجمة : حسن سعيد الكرمى ، دار لبنان للطباعة والنشر ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، ص٤٦، ماثيو كار :" المرجع نفسه " ، ص١٤٨)

٣ محمد عبد الله عنان :" دولة الإسلام فى الأندلس " ،ط٤، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٩٧م ج٥، ص٣١٥ـــ٣١٦ ، على بن محمد الكتانى :" انبعاث الإسلام فى الأندلس " ، ص٦٢، ماثيو كار :" الدين والدم " ،ص١٥٠ـــ١٥٢

٤ محمد عبد الله عنان:" المرجع نفسه " ، ج٥، ص٣١٦ ، ٣١٨ ، محمود شيت خطاب :" قادة فتح الأندلس " ، ط١، مؤسسة علوم القرآن ، منار للنشر ، ٢٠٠٣م ،ج٢،ص٣٠١، محمد عبده حتاملة :" التنصير القسري لمسلمى الأندلس " ، ط١، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٠م ، ص٦٠

القيمة التى أنتجها الفكر العربى الإسلامى فى بلاد الأندلس نتيجة هذا الأجراء التعسفى والهمجى ، وأن دل هذا فإنه يدل على مدى حقد وكراهية النصاري للمسلمين ، وكان مقصدهم عزل العرب عن دينهم وتاريخهم ، والتخلص من أى إشارة إلى اللغة العربية ، ومصادر التشريع الإسلامى كالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، فلم يراع ما قام به المسلمين من نهضة كبيرة حولت الأندلس من بلاد جرداء إلى فردوس ، ومن ظلام الجهل إلى ضياء العلم .

كما أن هناك بعض الرويات النصارنية انتقدت هذا الفعل الإجرامى وهذه الانتهاكات ، وقد ذكر محمد عبد الله عنان[١] عن المؤرخ الأجنبى وليم برسكوت الذى عبر عن هذا الفعل الإجرامى قائلاً :" أن هذا العمل المخزى لم يقم به همجى جاهل ، بل قام به حبر مثقف ، وقد وقع فى فجر القرن السادس عشر ، لا فى ظلام العصور الوسطى ، وفى قلب أمة مستنيرة ، تدين إلى حد عظيم بتقدمها إلى خزائن الحكمة العربية ذاتها"

كماقام النصاري باضطهاد المدجنين [٢] ، ففرضت عليهم الضرائب الباهظة دون غيرهم من السكان وكان ذلك ما بين عامى ٩٠١هـ/ ١٤٥٩م ـــ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م ، وحرمانهم من شراء الأراضى وذلك لتسهيل ازاحتهم وتفريقهم ، كما أنهم استولوا على أراضى المسلمين وقاموا بتوزيعها على النبلاء الأسبان ، وأصبح مالكوها المسلمين أتباع لهؤلاء النبلاء النصاري ، كما حرم مدجنى الأندلس أطفالهم ونسائهم من أن يستحموا أو يغتسلوا فى أى مكان مخصص للإستحمام ، وأن تهدم كل الحمامات العامة فى جميع نواحى غرناطة ، كما قاموا بعزل المسلمين بعيداً عن المجتمع الإسبانى ، ووضعوهم فى أماكن خاصة بهم لكى يتم السيطرة عليهم والقضاء عليهم إذا قاموا بأى ثورات[٣].

وقد خلقت هذه الأفعال جواً مشحوناً بالتوتر ، فقد عضب المسلمون من هذه الانتهاكات والإجراءات التعسفية التى يتعرضون لها ، وشعروا بأن دينهم ودولتهم فى خطر ، ولم يستكينوا إلى هذا العنف دون مقاومة ودون تذمر ، وقرروا الثورة فى معظم نواحى غرناطة وبالأخص فى حى البيازينALbazin[٤] الموجود فى غرناطة عام٩٠٥هـ/

---

١ دولة الإسلام فى الأندلس ، ج٥، ص٣١٨

٢ المدجنين :هم المسلمون الذين بقوا مكانهم القديم تحت الحكم الإسبانى ، ولم يرغموا على إعتناق النصرانية ، وكانت الكنيسة تكرههم ، وعرفوا باسم Mudijares ، وللأسف انحازوا للجيش الأسبانى وكادوا على المسلمين (شوقى أبو خليل:" مصرع غرناطة " ، ص٨٤)

٣ خليل إبراهيم السامرائى:" تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس " ، ص٣٠٦ ، محمد عبده حتاملة :" التصير القسري لمسلمى الأندلس " ، ص٦٣ـ٦٥،أنطونيو دومينغيث أورتيث :"تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية " ،ط١، ترجمة : محمد بنيابة ، مرجعة: زينب بنيابة ، هيئة أبو ظبى للسياحة والثقافة ، كلمة ، ٢٠١٣م ، ص٢١ـــ٢٢

٤ حى البيازين : هو من أشهر الأحياء الملاصقة لمدينة غرناطة ، وهو أشبه ما يكون بمدينة مجاورة لمدينة غرناطة، لكثرة ما فيه من العمران ، وكثرة السكان به ، ففي القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى كان مزدحما بالسكان للغاية، فقد كانت أعداد كبيرة ممن كانت مدنهم تسقط تهاجر إليه، وله ثلاثة أبواب كبيرة .(يوسف شكرى فرحات: "غرناطة فى ظل بنى الأحمر"، ص ١٧)

١٤٩٩م كردة فعل للتنصير القسري ، واشتعل فتيل الثورة بسبب انتهاك شرطة خيمينث على على حرمة احدى المسلمات وهى ابنة مسلم من أصل اسبانى ، فأخذت للسجن هى وأبنائها ، فاتغاثت بالمسلمين ، فتجمعوا وقتلوا هذ الشرطى وحرروا المرأة ، واعتزم السلمون الشهادة فى سبيل دينهم وحريتهم ، ونادوا بالثورة ولكنهم كانوا عزل ، فقام الملك فرناندوا وزوجتة الملكة ايزابيلا بإرسال قوات إسبانية لإخماد هذه الثورات ، ونجحت هذه القواد بإخماد هذه الثورات بأبشع المذابح ،وارتكبوا افظع الجرائم بحق المسلمين ، فقد تعرض المسلمين "المورسكيين " للإضطهاد والتنكيل الشديد الذي لا مثيل له ، فقتل وأسر الكثير من المسلمين واستأصلوهم بلا رحمة ، وسبيت النساء ، وقتلوا الشيوخ ، والأطفال الذين دون الحادية عشرة حولوا إلى الدين النصرانى ، وحرقوا القري ، وقضي بالموت على مناطق كاملة بأسرها ، ومصادرة جميع أموالهم ، كما نسفت المساجد ، وبعد أخماد هذه الثورة قرر فرناندوا وزوجته تأسيس محكمة التفتيشThe Inquisitions[١] فى غرناطة ، التى منعت المسلمين من الدخول إلى مدينة غرناطة ، وذلك لكى لا يختلطوا بأهلها وتثير روح الثورة فيهم ، كما حرم الموركسيون من الدخول إلى الكنائس لعلها تخفف عنهم عقوبة الإعدام ، وحرموا من ذبح الحيوانات بالطريقة الإسلامية ، كما منعوهم من اللباس الإسلامى من ممارسة أى عمل يمت بصلة إلى عقيدتهم ولغتهم ، ممدا دفع الموركسيون إلى الهروب إلى الجبال فى منطقة البشراتAlpujarras[٢] التى أصبحت ملجأ للمنبوذين والهاربين من الحكومة المركزية ، حذرين من أن التنصير القسرى الذي حدث فى غرناطة سيعم المنطقة بأكملها[٣].

---

١ محكمة التفتيش The Inquisitions: هذا المصطلح مشتق من كلمة لاتينية هى Inquirerوتعنى يفتش أو يبحث أو يقتصى ، وهناك مسميات كثيرة لمحكمة التفتيش (كالديوان المقدس أو ديوان التحقيق)، وكانت تعتمد على أساليب التفتيش والبحث عن المتهمين من خلال قوانين ولوائح تضعها الكنيسة ، حيث تقوم بإرسال عدد من القس والرهبان للبحث والتجول عن المخالفين لفكر الكنيسة الكاثوليكية ، تأسست هذه المحاكم أول مرة فى إيطاليا عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م ، ثم فى فرنسا ٦٣١هـ/١٢٣٣م ، ثم فى اسبانياعام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م بأمر من البابا غريغوريوس التاسع ، وبدأت فى قشتالة ثم امتدت إلى الجنوب فى عهد الملك فرناندو وزوجته ايزابيلا .(بشري محمود الزويعى :" محاكم التفتيش الإسبانية " ، الجامعة المستنصرية بز هران ، ص١٨، خليل إبراهيم السامرائى:" تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس" ، ص٣٠٦،على بن محمد الكتانى :" انبعاث الاسلام فى الأندلس " ، ص٦٥، هنري تشارلس لى :" العرب والمسلمون فى الأندلس بعد سقوط غرناطة " ، ص٤٧، ويليام جيمس ديورانت :" قصة الحضارة " ، ترجمة : زكى نجيب محفوظ ، مراجعة : محى الدين صابر ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ج٧، ص٣٣، مرتيديس غارثيا أرينال :" محاكم التفتيش والموريسكيون محاضر محكمة كوينكا " ، ط١، ترجمة : خالد عباس ، مراجعة وتقديم خالد عبد الرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤م،ص٩، عبد العظيم رمضان :" محاكم التفتيش أسوأ استخدام لاسم الله " ، مجلة العربى، الكويت، العدد: ٢٥٨ ، ١٩٨٠م ، ص٤٨)

٢ منطقة البشراتAlpujarras : هى منطقة جبال سير انفادا أو جبال الثلج ، وتضم الكثير من القري التى يسكنها العرب ، وهى إحدى المدن التى تقع فى جنوب الأندلس ، وفاقت شهرتها كل البلاد الأندلسية بعد زول ونهاية دولة الإسلام فى الأندلس وسقوط غرناطة عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ، فقد كانت مهد لثورات الموريسكين ضد النصاري المتجبرين إعتراضاً على سوء معاملتهم وأجبارهم على التنصير والتهجير القسري.(المقري :" نفح الطيب " ، ج١، ص١٤١، حسام محمود المحاوى :" الدور السياسى لمدينة البشرات الأندلسية فى الربع الأخير من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادى ، مجلة المؤرخ العربى ، الجزء الثانى ، العدد ٢٧ ، ٢٠١٩م ، ص٢٨٨ـــ٢٨٩)

٣ المقري :" نفح الطيب " ، ج٤، ص٥٢٧، شهاب الدين أبو العباس الجعفري السلاوى :" الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " ، ج٤، ص١٠٦، محمد عبد الله عنان:" دولة الإسلام فى الأندلس " ، ج٥، ص٣٢٣، على بن محمد الكتانى :" ، انبعاث الإسلام فى الأندلس " ص٦٢، خليل إبراهيم السامرائى :" تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس " ، ص٣٠٦ـــ٣٠٧، محمد عبده حتاملة :" التنصير القسري " ، ص٧٥ـــ٧٩، بسام العسيلى :"سلسلة جهاد شعب الجزائر " ، ط٣، دار النفائس ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص٤٧، ماثيو كار :"الدين والدم إبادة شعب الأندلس "، ص١٥٣، أنطونيو دومينغيث أورتيث :"تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية " ، ص٢٣

ونتيجة انتفاضة المسلمين " المورسكيين " فى حى البازين ثار إخوانهم فى منطقة جبال البشرات التى تقع جنوب مدينة غرناطة عام ٩٠٦هـ/١٥٠١م ، فأرسلت الحكومة الإسبانية قوات عسكرية لإخماد هذه الثورة والقضاء عليها ، وقامت هذه القوات بعمليات عسكرية همجية ووحشية اتصفت "بغياب الشهامة ورقة الشعور" بسبب ما قاموا به ، وفى طريقها كانت تمر هذه القوات على عده قرى منها قرية قونقة واندرشAndarax[١] وادى لكرين فلم تجد في هذه القري سوى النساء والأطفال والشيوخ ، أما الرجال فقد التحقوا بثوار البشرات، فقامت هذه القوات بجرائم يندى لها الجبين ويان لها القلب وتبكى لها الأعين ، فقامت بقتل جميع نسائها وأطفالهم الرضع ، والشيوخ الكبار فى السن ، دون رحمة أو هوادة ، ولم تكتف بهذه الجريمة البشعة بل قاموا بحرق القري على رؤس أهلها الموتى ، وتوجهت هذه القوات من مدينة المرية إلى البشرات ، فأوقعت هذه القوات الكثير من الخسائر بالمورسكيين ، وأخذت الكثير منهم كرهائن ، كما أنهم تعرضوا لاضطهاد لا مثيل له ، حيث قتلوا الرجال والنساء والأطفال والشيوخ ، ونسوفوا المساجد ، وخيرهم ما بين التنصير القسري أو الهجرة خارج اسبانيا ، وبعد أن اخمدت هذه الثورات عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م ، قامت القوات النصرانية بأعمال اتسمت بالعنف والقسوة ضد المورسكيين لأنهم فى نظرهم رقيقاً وأتباعاً ، ومن هذه الجرائم أنهم قاموا بنسف مسجد ملئ بالنساء والأطفال وقتلوهم جميعاً ، كما ذبح ثلاثة آلاف مسلم فى بلدة أندرش منهم ستمائة إمرأة وطفل [٢].

وفى نفس العام ٩٠٧هـ/١٥٠١م ، حدثت ثورة فى مدينة المرية بعد أن فرض عليها التنصير القسري، واستطاعت القوات النصرانية إخماد هذه الثورة بالقوة ، حيث قتلوا عدد كبير من المسلمين ، سبوا النساء والأطفال ، ونصروا حوالى ألف وثمنمائة مسلم بالإكراه[٣].

وظل المسلمون يحاولون التصدى للإنتهاكات التى يقوم بها النصاري حتى غلبتهم كثرتهم فى نهاية الأمر ، وفرقوا جمعهم ، وأعملوا فيهم القتل والنكال والتحقيق[٤] .

---

١ أندرش: قرية من أعمال مدينة المرية ، وتقع جنوب شرق غرناطة بالقرب من البحر الأبيض ، وتعد من أنزه البلاد .(الحميري :" الروض المعطار " ، ص٤٢، المقري :" المصدر نفسه " ، ج١، ص١٦٦، محمود شيت خطاب :" قادة فتح الأندلس " ، ج٢، ٢٤٤)

٢ عبد الواحد طه :" حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة " ، ط١، دار المدار الإسلامى ، ٢٠٠٤م ، ص٢٧، محمد عبده حتاملة :" التنصير القسري " ، ص٨١، محمد عبد الله عنان:" دولة الإسلام في الأندلس " ، ج٥، ص٣٢٣، خليل إبراهيم السامرائى:" تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس " ، ص٣٠٧ـــ٣٠٨، على بن محمد الكتانى :" إنبعاث الإسلام في الأندلس " ، ص٦٢ـــ٦٣، ماثيو كار :"الدين والدم إبادة شعب الأندلس" ، ص١٥٨ـــ١٥٩،عادل سعيد بشتاوى :" الأندلسيون الموراركة " ، ط١، مطابع انترناشيونال ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص١١٦، جمال عبد الكريم :" الموريسكيون تاريخهم وأدبهم " ، ص٢٥، محمد عبد الهادى الجازى :" الموريسكيون ومحاكم التفتيش في إسبانيا " ، مجلة العلوم الإنسانية ، المركز القومى للبحوث بغزة، ٢٠٢٠م ،المجلد الرابع ، العدد الثالث ، ص١٠٧

٣ أسعد حومد :" محنة العرب فى الأندلس " ، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٨م ، ص٢٢٨

٤ محمد على قطب :"مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس " ، مكتبة القرآن ، ١٩٨٥م ، ص٤٠.

لم تعرف محاكم التفتيش الظالمة أى معنى للإنسانية ، حيث قامت بأفعال إجرامية ووحشية ، فكانت هذه المحكمة تصدر الأحكام بحق المتهمين المسلمين الذين تم القبض عليهم لينالوا العقاب الجسدى بأبشع الطرق دون رحمه أو هوادة ، وكانت عقوبات هذه المحكمة مختلفة تتراوح ما بين دفع غرامات باهظة ، ومصادرة الممتلكات إلى جانب التعذيب الجسدى بأساليبه المروعة من إغراق وإدخال أسياخ ، وسلخ جلود وسحق عظام وفسخ الفك وتمزيق الأطراف ، وفى أغلب الأوقات حرق المتهمين ، وفى أول جلساتها التى عقدت فى اشبيلية صدرت أحكام بالإعدام حرقا على ستة عشر من المسلمين دون رحمة ، وقد ذكر أنه خلال ثمانى سنوات تم حرق ما يقارب من سبعمائة مسلم ، كما أنه تم الحكم بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على خمسة آلاف مسلم ، وفى مدينة آبلة Avila[1] تم حرق مائة وثلاثه عشر شخص ، وتم ذلك ما بين عامى ٩٠٥هـ/١٤٩٩م و٩٠٨هـ/١٥٠٢م ، كما مثل أمام المحكمة فى مدينة طليطلة ألف ومأتا مسلم حكم عليم بالموت فى جلسة واحدة ، وكان يطلب فيها من الشخص إما ترك الإسلام والدخول فى النصرانية ، أوالموت محروقاً[2]. وهذا فإن دل فانه يدل على مدى الحقد والكره الموجود عن النصاري تجاه المسلمين وهذا يعد انتهاكاً لحرية الإنسان فى اعتناق مايشاء .

***ذروة التنكيل والإضطهاد على المورسكيين جراء التنصير القسري:**

وعندما أكره المسلمين على التنصير وتحولوا من أمة إسلامية إلى أمة موريسكية أى مسلم سراً نصرانى ظاهراً ، وفشلوا فى ثوراتهم ، استمروا فى ممارسة شعائر الدين الإسلامى سراً ، حيث كانوا يعقدون حفلات الزواج بالطريقة الإسلامية سراً بعد إجراء مراسيم الزواج علناً فى الكنيسة ، وكانوا يؤدون الصلاة سراً، وعندما كان يتم تعميد أطفال المسلمين فى الكنائس ، كانوا يغسلونهم بعد وصولهم إلى البيت مباشرةً ، لإزالة آثار الصليب عنهم، وكانوا يعلمونهم تعاليم الدين الإسلامى، وبالتالى أصبحت تعاليم الدين الإسلامى موروثة حيث يتوارثها الأبن عن الأب جيل بعد جيل فى حلقات مغلقة ومجالس سرية ، وقد تعرضت بعض الأسر للإبادة والتنكيل أذا كشف أمرهم بسبب زلة لسان صبى ، وأصبحوا لقمة سائغة فى يد الحكومة الإسبانية ومحاكم التفتيش ، وهكذا

---

١ آبلة : مدينة حدودية تقع فى وسط اسبانيا ، هذه المدينة لا تظهر خصوصا فى أى من الوثائق الجغرافية والتاريخية العربية التى بين أيدينا للأندلس ما بين القرن الثامن والحادى عشر ، ويبدوا أن تاريخ هذه المدينة قد كتب على وجه التقريب من خلال المصادر اللاتينية ، ونجد أن الإدريسى فى القرن الثانى عشر قد أشار إليها وهذه هى أول إشارة حيث ذكر أن أهلها يركبون الخيل وهم أهل نجدة.(الإدريسى :"نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " ط١، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠١م، ج٢، ص٧٣٢ــــ٧٣٣، آنا إيتشيريا ارسواغا :" الوجود الإسلامى فى مدينة آبلة من القرن الحادى عشر إلى القرن السادس عشر " ، ترجمة : سري عبد اللطيف ،جمال عبد الرحمن ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري ، الكويت ، ٢٠١١م ، ص٢٣ــــ٣٥)

٢ محمد عبده حتاملة :" التنصير القسري " ، ص٦٧ــــ٦٨، على بن محمد الكتانى :" انبعاث الإسلام فى الأندلس " ، ص٦٨ــ٦٩.

تظاهر المسلمين مكرهين بقبول الدين المسيحى ، ورسخوا جهدهم للتكيف مع هذا الوضع الحرج والشاذ ، حتى يأتى الله بفرج من عنده [١].

وأصبح حال المسلمين يزيد سوء حيث فى عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م بدأت الرغبة فى إزاحة المسلمين عن الأندلس ، حيث أرسل الملك فرناندوا وزوجته إيزابيلا أمراً إلى حاكم قرطبة بأن يقوم بقتل جميع المسلمين الرافضين الدخول فى الدين المسيحى أو طردهم خارج بلاد الأندلس ، وفى نفس العام أصدر الملكان قراراً بحرمان مسلمى قشتالة من الإتصال أو الإختلاط بمسلمى غرناطة ، وتنصير مسلمى قشتالة أو إخراجهم بالقوة ، ولم يقتصر هذه الأمر على المسلمين فقد بل امتد إلى الطوائف الآخري كاليهودية التى عانت نفس معاناة المسلمين[٢].

وفى عام ٩١٤ه/١٥٠٨م تطلعت الكنيسة لتنصير المسلمين بالإكراه والعنف ، وتجددت الإجراءات الصارمة والقوانين الجائرة التى لا تمت للإنسانية بصلة ، وتنتهك حرية الإنسان ، فقد منعت المورسكيين من لبس اللباس العربى ، كما أصدر الملك فرناندو عدة لوائح كان أولها بتاريخ ٢٠ /٥/ ٩١٧هـ ـــ ١٥١١م والتى تمنع استخدام المورکسيين من حمل السكاكين ، ولائحة آخر بتاريخ ٦/١٠ من نفس العام ، حيث أمر بضرورة حرق جميع الكتب العربية المتبقية ،ولائحة آخرى أيضاً بتاريخ ٦/٢٠ من نفس العام ، حيث منع ذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية ، كما فرض عليهم الضرائب الباهظة ، كانت هذه اللوائح تهدف لمحو الخاصية الثقافية لمسلمى الأندلس بعد تنصيرهم القسري وإلغاء عقيدتهم الإسلامية [٣]، وهكذا تم تنصير أكثر من خمسمائة ألف أندلسى قسراً ، وحولت مساجدهم إلى كنائس[٤] .

توفى الملك فرناندو عام ٩٢٣هـ/١٥١٦م ، وأوصى أبنائه على أن يعملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية ، ويقصد استأصال المسلمين من جذورهم ، بعد أن عانت الأمة الإسلامية من انتهاكاته وغدره وتعسفه بهم ، وكانت زوجته الملك إيزابيلا قد سبقته إلى القبر قبل ذلك بأحد عشر سنة فى ٩١٠/١١/٢٦هـ ـــ ١٥٠٤م ، وأوصت هي الآخري بمواصلة الحرب ضد أعداء الدين المسيحى تقصد المسلمين ، وبعد وفاة الملك فرناندو

١محمد عبد الله عنان :" دولة الإسلام في الأندلس " ، ج٥، ص٣٤٢، خليل إبراهيم السامرائى:" تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس " ، ص٣٠٨، على بن محمد الكتانى :" انبعاث الإسلام فى الأندلس " ، ص٧٣

٢ محمد عبده حتاملة :" التنصير القسري " ، ص١٠٥ــ١٠٦، محمد على قطب :" مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس " ،ص٤٥بيوسف كاظم جغيل الشمري :"الموريسكيون فى بلنسية دراسة أوضاعهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية ١٥٢٥ــ١٦٠٩م " ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، المجلد :الخامس ، العدد: الأول ، ص١٧٦

٣ على بن محمد الكتانى :" المرجع نفسه " ، ص٧٣

٤ عبد الواحد طه :" حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة " ،ص٣٦

خلفه فى الحكم شارل الأول sharle I[1] أو كارلوس الخامس carlos v" الإمبراطور شارلكان " بعد فترة قصيرة من وصاية الكاردينال خيمينيث ، واستغل خيمينيث صغر سن شارل الأول فى ممارسة سياسته الوحشية والقمعية تجاه المسلمين ، ، وأستغل خيمينيث منصبه كوصى على العرش وأصدر مراسيم جديد تمتاز بالصرامة والقسوة ، وتشبه تلك التى صدرت أثناء حكم فرناندو وايزابيلا ، إلا انها أشد تنكيلاً واضطهاداً وأكثر تفصيلاً ، وكان لهذه المراسيم نتائج شديدة الخطورة على المسلمين ، وذلك لأنها تدخلت فى حياتهم الخاصة بشكل صريح ، حيث منع المسلمين من ذبح الحيوانات على الطرية الإسلامية ، ومنع استخدام الملابس العربية ، وأمرهم بالزواج على الطريقة المسيحية ، وذلك بإكراه المرأة العربية المنصرة على الزواج برجل ذا أصول اسبانية ، وكذا إكراه الرجل العربى المنصر على أن يتزوج إمرأة اسبانية الأصل ، ومنع المورسكيين الموجودين خارج غرناطة من الدخول إلى غرناطة ، وعدم بيع ممتلكاتهم بدون ترخيص من السلطات ، وأن يسلم كل فرد جميع الكتب التى بحوذته لتحرق ، ومنعهم من حمل الأسلحة ، ومن يثبت عليه شئ يعاقب بأشد العقوبات[2] .

لم يعش خيمنيث طويلاً بعد وفاة الملك فرنادو ، فقد توفى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وتولى الملك شارل الأول ، فتنفس المسلمين العرب الصعداء ، ورجعت إليهم روح الأمل على أن يكون العهد الجديد أفضل من سابقه ، وفى بداية حكمه أبدى جانب من التسامح واللين نحو المسلمين المورسكيين ، وجنحت محاكم التفتيش إلى نوع من الإعتدال فى مطاردة المسلمن ، ولكن هذه السياسة لم تدم طويلا ، حيث ظهرت من جديد مسألة التنصير بالإكراه ، وفى عام ٩٣٢ه/١٥٢٤م تخلى الملك شارل الأول عن وعده باحترام ديانة وعقيدة العرب فى إسبانيا ، وأصدر مرسوم جديد يأمر فيه بتنصير كل مسلم ما زال على دينه ، وطرد من رفض التنصير من اسبانيا قسرا، ومعاقبة كل من رفض الخروج والتنصير فى المهلة المحددة بالرق طوال الحياة ، وأن تغلق ما تبقى من المساجد وتحويلها إلى كنائس ، وإجبارهم على حضور القداس [3].

---

١ شارل الأول : هو الإمبراطور الأسبانى الذي حكم من عام٩٢٣هـ/١٥١٦م بعد وفاة الملك فرناندو حتى تنازل عن الحكم لابنه فيليب الثانى عام٩٦٤هـ/١٥٥٦م .(ماثيو كار :"الدين والدم إبادة شعب الأندلس "، ص١٧٢)

٢ محمد عبد الله عنان :" دولة الإسلام فى الأندلس " ، ج٥، ص٣٥٠، عبد الواحد طه :" حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة " ، ص٣٩ـــ٤٠ ، عادل سعيد بشتاوى :" الأندلسيون المواركة " ط١، مطابع انترناشيونال ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص١٢٣، محمد عبده حتاملة :" حالة الموريسكيين ابان حكم الملكة خوانا المعتوهة ١٤٧٩ـ١٥٥٥م" ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية ، الجامعة الأردنية ، المجلد : الثامن ، العدد : الثانى ، ١٩٨١م ، ص٧١ـــ٨٤ ، خديجة خيرى عبد الكريم ، طرد الموريسكين من إسبانيا الدوافع والأسباب ١٦١٤ـــ١٦٠٩م ، مجلة جامعة بحري للأداب والعلوم الإسلامية ، المجلد : الخامس ، العدد : العاشر ، ٢٠١٦م ، ص١٩٦ـــ١٧٠ .

٣ محمد عبد الله عنان:" دولة الإسلام فى الأندلس " ، ج٥، ص٣٥١، عبد الواحد طه :" حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة " ، ٤١ـــ٤٢، أسعد حومد :" محنة العرب فى الأندلس " ، ص٢٠٣، على بن محمد الكتانى :" انبعاث الإسلام فى الأندلس " ، ص٧٤

كما أصدر شارل الأول فى نفس العام قانون يحظر على المسلمين بيع الذهب والفضة والحلى والأحجار الكريمة والمواشى ، وإلزام المسلمون بتسليم كل أسلحتهم ، ومن يخالف ذلك يعاقب بالجلد ، كما ألزمهم بالسجود فى الطرقات إذا مر أمامهم حبر كبير من أحبار الكنيسة ، وإلاق جميع مساجدهم [١].

ونتيجة هذه الإجراءات التعسفية القاسية ، أرسل المسلمون العرب وفداً إلى مدريد Madrid للاستغاثة بالامبراطور ، والتمسوا حمايته وعدله ، وشرحوا له آلامهم وظلامتهم وحدث ذلك عام ٩٣٣هـ/١٥٢٦م ، فدعى الملك بعقد محكمة كبرى من القساوسة وقضاة التفتيش للتحقيق فى هذا الأمر، وتقرر إذا كان هذا التنصير الذي وقع على المسلمين كان كان قسراً أما صحيحاً ، واصدرت المحكمة قرارها بإعتبار أن هذا التنصير صحيحاً لا تشوبه أى شوائب ، وهذا يدل على مدى الظلم الذي تعرض له المسلمين ، وبعدهم عن المصداقية ، وعلى أثر ذلك أصدر قراراً ملكياً يجبر كل الذين تنصروا قسراً على البقاء فى الأندلس باعتبارهم نصاري ، وأن ينصر أبنائهم ، فان ارتدوا حكم عليهم بالموت أو المصادرة ، كما منع التحدث باللغة العربية أو الكتابة بها ، وتضمن الأمر تحويل جميع المساجد الباقية إلى كنائس [٢].

ثانياً : القوانين التعسفية والتهجير القسرى وانتهاك حقوق الانسان:

تغير بعد ذلك هذا التوازن إلى الأسوأ بوفاة شارل الأول وتولى ابنه الملك فليب الثانىII philip [٣] عام(٩٦٣هـ /١٥٥٥م ـــ١٠٠٠٧هـ/١٥٩٨م) المعرف بتعصبة الشديد للكاثوليك ، فقاوم بشد كل من لا يدين بالديانة الكاثوليكية ، والهدف من وراء ذلك هو الوحدة الدينية حسب التعاليم الكاثوليكية حيث كانت المحرك الفعلى لكل أعماله ، وقد اتبع سياسة غاشمة ضد مسلمى الأندلس هدفها تنصيرهم و تهجيرهم قسراً ، واتخذ ضدهم مجموعة من الإجراءات الهمجية التى تقشعر لها الأبدان عام ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م

---

١ محمد على قطب :"مذابح وجرائم محاكم التفتيش" ، ص٥٣

٢ محمد عبد الله عنان :" المرجع نفسه " ،ج٥، ص٣٥٢، عبد الواحد طه:" المرجع نفسه" ، ص٤٢،على بن محمد الكتانى :" المرجع نفسه "، ص٧٥

٣ فليب الثانى :ولد فى الحادى والعشرين من شهر أيار عام ٩٣٤هـ/١٥٢٧م فى بلد الوليد ، وعمد فى كنيسة فى الخامس من حزيران من نفس العام ، وفى العام الثانى ٩٣٥هـ/١٥٢٨م حيث أقرة مجلس قشتالة على منصب ولى العهد وكان ذلك فى مدريد ، قضى أول حياته بجانب والدته الملكة ايزابيلا ، وأشرف على رعايته الأميرات ، وكان يحب الألعاب الرياضية ، وتعلم ركوب الخيل ، والمبارزة بالسيف والرمح ، والصيد ، كما تفوق فى مختلف العلوم وخاصة فى الهندسة والرياضيات ، وفى سن الثانية عشر توفيت والدته الملكة ايزابيلا، فاشرف على تربيتة الملك شارل ، وفى عام ٩٤٩هـ/١٥٤٢م جعله يشترك فى إدارة الحكم ، وأطلعه على ما يجري فى مجالس أرجون وقشتالة وبلنسية ، وتزوج الملك فليب الثانى عام٩٥٠هـ/١٥٤٣م وكان عمرة ستة عشر عاماً من ماريا البرتغالية وأنجب منها ولد سماه ضون شارل الثانى ، وتولى الملك فليب الحكم خلفاً لوالده عام ٩٦٣هـ /١٥٥٥م ـــ١٠٠٠٧هـ/١٥٩٨م.(محمد عبده حتاملة :" التهجير القسري لمسلمى الأندلس عهد الملك فليب الثانى ١٥٢٧ـ ١٥٩٨م" ، ط١،عمان ،الأردن ،١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، ص١١، محمد قشتيليو :" محنة الموريسكوس فى اسبانيا " ، ط٢ ، مطابع الشويخ ، ١٩٩٩م ، ص٣٥)

فيما يلى : حيث أصدر قانون يحظر على الموريسكين إمتلاك الخدم حتى لا يدينوا بالإسلام ، كما أمر بحظر استخدام الأسلحة النارية[١].

ولم تتوقف هذه الانتهاكات إلى هذا الحد بل أمر بعدم صنع الثياب الخاص بالمسلمين ، وأمر بصناعة الثياب الخاص بالنصاري ، كما سمح بارتداء الملابس الحريرية ، ومنع النساء من إرتداء الحجاب كما أجبرهن على كشف وجوههن ووجوب فتح أبواب المنازل، وقد فرضت على من يخالف عقوبات شديدة تختلف ما بين النفى والسجن والإعدام [٢]، ويقدر عدد من عذب من المسلمين بعد سقوط غرناطة بثلاثة ملايين نسمة ، حرق من حرق وقتل من قتل ، ونفى من نفى[٣] .

وهكذا حاول فيليب الثانى عن طريق التشريع الهمجى بتوجية الضربة القاضية والأخيرة للغة الموريسكين وتقاليدهم العربية ولبقايا الأمة الإسلامية فى الأندلس ، حيث قام بتجريدها من مقوماتها .

وبالتالى فإن تجريد شعب كامل أو أمة من مقوماتها الدينية والقومية لا يمكن أن يتحمل ويمر مرور الكرام وبسهولة كما تصورها النصاري الأسبان ، لا سيما إن كانت هذه الأمة أمة عظيمة وعريقة لها تاريخ وحضارة وتستمد قوتها دينها من إنجازات أسلافها وأجدادها فى هذه البلاد ، وبالتالى لما رأى الموريسكين ما حل بهم من انتهاكات واضطهادات تنصب عليهم من كل صوب بالإضافة إلى تجاوزات محاكم التفتيش التى كانت تصادر ممتلكات الأندلسيين فقد استولت محكمة التفتيش ما بين عامى ٩٥٧هـ ـــ ٩٨٧هـ/١٥٥٠م ـــــ ١٥٧٠م فى غرناطة كل عام على ممتلكات سبعين عربياً ، فرأوا أنه لم يعد ينقذهم سوى التوكل على الله وأسلحتهم لردع هذا العدوان الذى يهدف إلى تجريدهم من دينهم وقوميتهم دفعة واحدة ، فقاموا بثورة البشرات الثانية عام ٩٧٦هـ /١٥٨٦م [٤] للتصدى للنصاري[٥].

---

١ عبد الواحد طه:" حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة " ،ص٥٠، أسعد حومد :" محنة العرب فى الأندلس " ،ص٢٥١
Maria soledad Carrasco Urgoiti : EL problem morisco en Argon al Comienzo del renado de felib II Estudo y Apendices documentalles .estudio de hispanofilia Madrid ١٩٦٩.P.(٥٦٥٧)

٢ محمد عبد الله عنان :" المرجع نفسه " ، ج٥، ص٣٥٨

٣ محمد على قطب :"مذابح وجرائم محاكم التفتيش " ،ص ٤١

٤٤ ثورة البشرات: (٩٧٦هـ ـــ٩٧٩هـــ/١٥٦٨م ـــ ١٥٧١م) هى ثورة قام بها " الموريسكين " مسلمو غرناطة الذين تنصروا قسراً بعد سقوط غرناطة ، وقامت هذه الثورة نتيجة سياسة فيليب الثانى الغاشمة تجاه الموريسكين ، فقد حارب الموريسكين في نظام حياتهم ومعيشتهم ، كما حاربهم في معتقداتهم وتقاليدهم ولغتهم ، مما دفعهم بالقيام بثورة للحفاظ على العزة والكرامة القومية ، ومعلى دين الأباء والأجداد ، ولا يتم ذلك إلا بحمل السلاح والمقاومة ، وخطط لهذه الثورة فرج بن فرج والذي ترجع أصوله إلى بنى الأحمر آخر ملوك غرناطة من المسلمين ، ومحمد بن عبو والمعرف عند الاسبان دييغو لوبيبث ، وقرروا أن يواجهوا النصاري ، واجتمعوا سراً عام ٩٧٦هـ/ ١٦٦٨م في وادى الإقليم مع مجموعة من موريسكى غرناطة والبشرات وبايعوا بن أمية واسمة بالاسبانى فرناندو دى بالور Fernando de valor على أن يكون قائداً لهم ويكون وريثاً لعرش الأمويين فى الأندلس ، وبدأ العصيان والمواجه المسلحة على شكل عصابات مدعومة مادياً وعسكرياً من المغرب ، ولكنه تم اغتيال ابن أمية عام ٩٧٧هـ/١٥٦٩م ،وخلفه محمد بن عبو ، ثم أرسل فيليب الثانى قوة عسكرية غاشمة وكبيرة مكونة من جنود إطاليون وإسبان لقمع وإخماد هذه الثورى وعلى رأس هذه الجنود جون النمساوى أستطاع النصاري التغلب على الثوار وكان بتراوح عددهم خمسة وعشرون ألف بينهم جنود من الأتراك والبربر ، وقتل قائدهم ابن عبو واستطاعوا إخماد الثورة عام عام ٩٧٩هـــ/ ١٥٧١م .(محمد عبد الله عنان :" دولة الإسلام في الأندلس " ، ج٥، ص ٢٦٤، على بن محمد الكتانى :" ابعاث الإسلام فى الأندلس "، ص ٩٧ـــ٩٨، محمد عبده حتاملة :" التهجير القسري لمسلمى الأندلس عهد الملك فليب الثانى " ، ص٢٧، عادل سعيد بشتاوى :" الأندلسيون الموارکة " ، ص١٥٠)

٥ محمد عبد الله عنان :" المرجع نفسه " ، ج٥، ص٣٦١،عبد الواحد طه:" حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة " ،ص٥٤ـــ٥٥، محمد عبد الله حتاملة :" المرجع نفسه " ، ص٢٧

ولم تستطع الثورة أن تحقق هدفها وهو الوقوف ضد النصاري والتصدى لهم ، حيث قام النصاري بإخمادها عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، وهكذا انتهت هذه الثورة التى تمثل المقاومة العربية الأخيرة لعرب الأندلس ضد السياسة القمعية للنصاري والتى كان هدفها تجريد العرب من قوميتهم ودينهم وانتهاك حقوقهم ، حيث قام النصاري بقتل أكثر من عشرين ألف عربى ، وأسر ونفى عدد كبير ممن بقوا من العرب على قيد الحياة ، وتم تهجير ما يقارب خمسة وثلاثين ألف عربى من غرناطة ، ثم أصدر الملك فيليب الثانى مرسوماً قضى بتهجير وترحيل جميع الأندلسيين من مدينة غرناطة دون استثناء ، ومصادرة جميع عقاراتهم وأملاكهم ، وكان مجموع ما هاجر فى هذه المرحلة الثانية بنحو خمسين ألف شخص(١).

ولم تتوقف الانتهاكات عند هذا الحد ، فقد قام النصاري الاسبان بتنفيذ قرارات التهجير القسري بسرعة كبير وبطريقة همجية ، ولم يمهل المهاجرين من أخذ ما يكفيهم من الضروريات البسيطة للعيش من ماء وطعام وكساء ، ولذلك عانى الأندلسيين من مآسى عديدة تقشعر لها الأبدان ، فقد توفى عدد كبير منهم فى الطريق جوعاً وعطشاً أثناء التهجير ، كما تعرضوا للنهب والتعذيب من قبل رجال الحكومة الاسبان الذين فتكوا بالأطفال والنساء ، وحتى من سلم منهم فقد عانى من الغربة الموحشة وعدم التأقلم فى البيئة الجديدة ، والاشتغال بالمهن الوضيعة(٢)، ولم تنتهى متاعب الأندلسيين بل تعاقبت عليهم قرارات النفى والمصادرة عهد حكم الملك فيليب الثانى ، وأصبحت جميع الممتلكات التى تتبع للإندلسيين فى غرناطة تابع للملك حيث قام بتوزيعها للمستوطنين(٣).

وفى عام ٩٨٠هـ/١٥٧٢م أصدر فيليب الثانى قانوناً جديداً منع الموريسكين من التحدث باللغة العربية أو الكتابة بها ، وحدد عقوبة من يخالف هذا القانون بالسجن والتكبيل بالحديد لمدة ثلاثين يوماً ، وستين يوما للمخالفة الثانية ، والخدمة أربع سنوات فى القواديس مع مائة جلدة ، وأن يترك الموريسكين جميع المناطق المحدده لهم بعد نفيهم ، واذا قبض على أندلسى يتراوح عمرة ما بين العاشرة والسابعة عشر فى غرناطة حكم عيله بأن يكون عبداً يعمل بالقواديس طوال حياته ، وإذا كان فوق السن حكم عليه بالإعدام(٤) .

---

١ محمد عبد الله عنان :" دولة الإسلام فى الأندلس " ، ج٥، ص٣٧٥ـــ٣٧٦، عادل سعيد بشتاوى :" الأندلسيون المواركة " ، ص ١٦٥، عبد الواحد طه :" حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة " ، ص٦٨ـــ٦٩

٢ محمد عبده حتاملة :" التهجير القسري " ، ص ٨٩ـــ٩٠، أسعد حومد :" محنة العرب فى الأندلس " ، ص٣٢٢، ٣٢٣

٣محمد عبده حتاملة :" المرجع نفسه " ، ص٩٣، عبد الواحد طه : المرجع نفسه " ،ص٦٩

٤ عادل سعيد بشتاوى :" المرجع نفسه " ، ص١٦٦

وبقى الوضع معلقاً إلى أن توفى الملك فيليب الثانى ١٠٠٣هـ/١٥٩٨م ، وخلفه فى الحكم ابنه فيليب الثالث Felube III[١] فى نفس العام حيث أنه كان ضعيف الشخصية ، فأصبح ألعوبة فى يد الرهبان ، وفى عام ١٠٠٤هـ/١٥٩٩م عقد مجلس الدول اجتماعاً بحث فيه موضوع طرد الموريسكيين نهائياً ، وأوصى فيه هذه المرة بضرورة ضرد الرجال فوق سن الستين عاماً والنساء ، وأما الرجال الذين يتراوح سنهم ما بين خمسة عشر وستين سنة فيحكم عليهم بالأشغال الساقة داخل السفن طوال الحياة ، وأن تصادر ممتلكاتهم، وتسلم الأطفال الذين تقل أعمارهم عن الخمسة عشر عاماً إلى الكنيسة لتعليمهم وتنشئتهم على الدين النصرانى[٢] .

وبتاريخ ٢/٢/ ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٩م تقدم أحد كبار رجال الدولة الدوق دى ليرما لمجلس الدولة بمشروع للتخص من الموريسكين ، قال فيه أن الموريسكين مسلمون الأن كما كانوا من قبل وسيظلون ، وأوصى بإعدام كل من كانت أعمارهم تتراوح ما بين الخامسة عشر والستين عاماً ، ومصادرة جميع ممتلكاتهم ، وتابع مجلس الدولة دراسة هذا الموضوع طوال عام١٠٠٤هـ/ ١٥٩٩م فى سرية تامة مخافة ثورة الموريسكين ، وأمر القائمين على العملية بتجهيز قوة عسكرية كبيرة للإشراف على عملية الطرد ، وإحصاء جميع الموريسكين الموجودين فى اسبانيا.[٣]

***طرد مسلمى بلنسية قسراً:**

تمت عملية التهجير القسري على ثلاث دفعات فى مدينة بلنسية : " الأولى " ـــــــ تمت فى الثانى من تشرين الأول عام ١٠١٨هـ ـــــــ١٦٠٩م وكانت عدد الموريسكين فيها(٣٨٠٣) ، ثم تبعها بعد ذلك (٣٢٠٠) موريسكى تم نقلهم ، " والدفعة الثانية " ـــــ كانت فى الثانى والعشرين من تشرين الأول فى نفس العام وكان عددهم (٣٤٠٦) ، ثم تبعهم بين الثانى والعشرين والرابع والعشرين من نفس الشهر خمسة عشر سفينة تحمل (٢٤٥٦) موريسكياً ، وفى السادس والعشرين خرجت تسعة سفن تحمل (٥٦٤٥) موريسكياً ، " والدفعة الثالثة " ـــــ كانت فى الثانى من تشرين الثانى حيث

---

١ فيليب الثالث : ولد فى مدريد عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م ، وهو ابن فيليب الثانى ملك اسبانيا من زوجته الرابعة أن دى أوستريا Ana de Austrla وتولى عرش اسبانيا من عام ١٠٠٣هـ/١٥٩٨م حتى عام ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م ، كان ضعيف الشخصية ، وكان عهده بداية انحطاط وتدهور لاسبانيا ، وتزوج من ماريفيتة دى أوستريا أى النمساوية بن الأرشيذوق شارل ودي ماريا دى بافييرا de Maria de Baviera عام ٩٧٨هـ/ ١٥٩٩م ، وأنجب منها ثمانية أولاد ، وعقد اتفاقية سلام مع انجلتر ، ثم عقد اتفاقاً مع الهولنديين لمدة اثنى عشر عاماً عام ١٠١٨هـ/١٦٠٩م ، وتوفى عام ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م ، وخلفه فى العرش ابنه فيليب الرابع .

وليام جيمس ديورانت :" قصة الحضارة" ، ص ج٢٩، ص٩٨، محمد عبد الله عنان :" دولة الإسلام فى الأندلس " ، ج٥، ص٣٩٤)

٢ على بن محمد الكتانى :" انبعاث الإسلام فى الأندلس " ، ص١٤٩ـــ١٥٠ ، دوبالى خديجة : مأساة طرد مسلمى الأندلس بعد سقوط غرناطة " الأبعاد والتحاليل" ، عصور الجديدة ، العدد ٢٣،١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م ، ص١١٢

٣٣ على بن محمد الكتانى :" المرجع نفسه " ، ص١٥٠

تم طرد (٣٨١٩) موريسكياً ، وفى نفس اليوم خرج أيضاً (٢٥١٩) موريسكياً ، وفى الرابع من تشرين الثانى غادر (٣٢٢٥) موريسكياً ، وغير ذلك ، وبصفة عامة فقد تم تهجير ١١٦٠٠٠موريسكى ، كما حكم على خمسة آلاف منهم بالأشغال الشاقة ، وهرب جزء منهم واختبأ بالجبال وظلوا ينتظرون الفرصة للانتفاضة ضد اسبانيا ، ولم يمهلهم القدر حتى اكتشفت محكمة بلنسية فى الثانى والعشرين من أيار عام ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م أمرهم وأبلغت الملك فيليب الثالث بأمرهم وكان عددهم سبعمائة موريسكى ، فسمح لهم بالبقاء على أن يكونوا عبيداً ن وقد خرج من بلنسية بعد عام١٠١٨هـ ـــــــ١٦٠٩م (١٠٥٠) موريسكياً ، ثم خرج بعد عام١٠١٩هـــ/ ١٦١٠م (٤١٦) موريسكياً وهذا بالنسبة لمدينة بلنسية [١] .

***طرد مسلمي مملكة أراغون قسراً :**

بعد مملكة بلنسية قررت السلطات الإسبانية طرد مسلمي مملكة أراغون ، لذلك أصدر الملك فيليب الثالث عام ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م مرسوماً يقضي بطرد مسلمي مملكة أراغون ، ومرت عملية طرد مسلمى أراغون دون مقاومة ، حيث أنها مرت على المسلمين في جو من الألم والبؤس ، حيث كان المسلمين يسيرون في فوضى عارمة ، يتجاذبون وهم يتقطعون بالآلام وينفجرون بالدموع، يرتقع منهم صراخ وضجيج كبير، يحملون أطفالهم ونسائهم وعجزتهم ومرضاهم ، كان الغبار والعرق يغطيهم ،وكان بعضهم يركب فوق العرابات يزاحمون أمتعتهم ، وآخرون يسيرون على الأقدام منكسري الجناح مزلولين، ملابثهم بالية ورديئة ، وتمشى النساء بين الرجال، منهن فتيات تظهر عليهم علامات الألم والتعب والضياع، وكان الجميع يتألم آلاما مريرة وشديدة، وتتقطعهم مرارة صعبة وعظيمة، وكثير منهم يتساقط على الطريق يموت من الحزن، بينما يضطر الباقون إلى دفع ثمن شرب الماء والوقوف في الظل ، ويقدر عدد الذين طردوا من مملكة أراغون بحوالى أربعة وستين ألفاً[٢] .

١ محمد عبده حتاملة : " التهجير القسري للموريسكيين خارج شبه جزيرة أيبيريا فى عهد الملك فيليب الثالث ١٥٩٨ـــ١٦٢١م " ، م. دراسات ـــ العلوم الأنسانية ، مج ١٠، العدد : ١، ١٩٨٣م ، ص١١٤ـــ١١٥

٢أسعد حومد :" محنة العرب في الاندلس" ، ص٣٦١ـــ ٣٦٩، دوبالى خديجة : مأساة طرد مسلمى الأندلس بعد سقوط غرناطة " ، ص١١٤

الخاتمة :

بعد ما من الله سبحانه وتعالى على بإنهاء هذه الرسالة ، توصلت إلى مجموعة من النتائج ، أسال الله أن تكون خير لى ولمن يقرأها وأهم تلك النتائج التى بينتها الدراسة :

ـ بينت الدراسة أن الملك فيليب الثانى والملك فيليب الثالث هم المسؤلين عن تصفية الوجود الإسلامى داخل الأندلس ، ومحاكم التفتيش هى المسؤلة عن تعذيب وحرق وإبادة الآلاف من الأشخاص الذين ليس لديهم تهمة اقترفوها سوى أنهم أصحاب ديانات آخري تخالف الديانة المسيحية الكاثوليكية .

ـ بينت الدراسة أن إستشهاد المسلمين "الموريسكين " من أروع مآسى التاريخ ، وكان هذا الشعب المكسور الذى دخل قسراً في حظيرة المسيحية ، والذى أنكرته مع ذلك الكنيسة التى عملت على تنصيره ، يحاول أن يروض نفسه على حياته الجديده ، وأن يتقبل مصيره المحتوب بصبر وعزيمه وإصرار، لكن يد الظلم والطغيان سحقتهم ومزقتهم بلا رأفة ، وتركتهم جثث هامدة وأشلاء دامية.

المراجع:

١ــ عادل سعيد بشتاوى : " الأندلسيون المواركة " ، ط١، مطـــابع انترناشـــيونال ، القـــاهرة ، ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م.

٢ــ عباد كحيلة : القطوف الدوانى في التاريخ الإسبانى " ، ط١، مكتبة فلسطين للكتب المصورة ، ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م.

٣ــ عبد الحكيم الذنون :" آفاق غرناضة " ط ١، دار المعرفة ، ١٤٠٨هـــ / ١٩٨٨م.

٤ــ عبد الرحمن على الحجي:" التاريخ الأندلسيى من الفتح حتى ســـقوط غرناطـــة " ط٢، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ١٤٠٢هـــ /١٩٨١م.

٥ــ عبد الله حمادى :" المورکسيون ومحاكم التفتيش فى الأندلس " ، المؤسسة الوطنية للكتـــاب، الجزائر ، ١٩٨٩م.